الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

الزهد في شعر بكر بن حماد

مذكرة معدة استكمالا لمتطلبات نيل شهادة الماستر

الشعبة: أدب عربي

التخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبة:
زوينة بوخطوطة

إشراف الدكتور:
سليمان مودع

السنة الجامعية: 2013- 2014

بسم الله الرحمن الرحيم

دعاء

"اللهم رب جبرائيل وميكائيل وَإسرافيل، فاطر السَّماوات والأرض، عالم الغيب والشَّهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدني لما اختلف فيه من الحقِّ بإذنك، إنّك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم"

إهداء

أهدي هذا العمل إلى والديّ وأسأل الله لهما العافية والصحة في الدنيا والآخرة على دعمه ما ودعواتهما، وإلى كل العائلة، وإلى كافة أساتذتي وزملائي في المركز الجامعي وإلى كل من مدّ لي يد العون من قريب أو من بعيد.

شكر واعتراف

الحمد لله ربّ العالمين، والعاقبة للمتقين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد – صلى الله عليه و سلم – وعلى آله وصحبه أجمعين.

وانطلاقا من قوله تعالى ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ وقوله – صلى الله عليه وسلم –:" لا يشكر الله من لا يشكر الناس"، أتوجّه بشكري لأستاذي المشرف سليمان مودع، لما شملني به من توجيه ونصح وعناية واهتمام، ولم يبخل علي بشيء منها في يوم من الأيام.

كما أوجه شكري وتقديري وامتناني لأساتذتنا الكرام أعضاء لجنة المناقشة: الأستاذ مسعود بن ساري ، والأستاذ عبد الحميد بوفاس لما قدماه من جهد في قراءة المذكرة وتصويبها.

وأتقدم بالشكر الجزيل كذلك لكل من ساعدني في إتمام هذه الرسالة من أساتذة وطلبة وأخص بالذكر الطالب المهذب يوسف لطرش – داعية الله – عز وجل – أن يوفقني وإياهم إلى كل خير.

مقدمة

مقدمة

حظي بكر بن حماد بمكانة عالية، أهّلته أن يذكر في مصاف الشعراء العظماء، في المشرق والمغرب، فقد عاش في عز الخلافة الإسلامية العباسية، ونهل من ثقافة المشرق والمغرب، وخلف أشعارا في أغراض شتى، منها الهجاء، والمديح، والرثاء، والزهد.

واخترنا هذا الأخير –أي الزهد– أن يكون موضوعا لدراستنا الموسومة ب: الزهد في شعر بكر بن حماد ،لما نجده في النفس من ميل وإعجاب.

والإشكال الأساس في البحث هو: ما هي العلامات السيميائية البارزة في شعر الزهد لبكر بن حماد؟.

كما ضم بحثي:

- ✓ تعريف الزهد لغتا وإصطلاحا
- ✓ التعريف بالشاعر بكر بن حماد .
- ✓ خبر شعره عامة ،وخبر غرض الزهد عنده خاصة .
- ✓ مدى موافقة الشعر القديم مع المناهج الحداثية (المنهج السميائي).
- ✓ تكل المستويات السميائية في زهديات بكر بن حماد الشعرية.
- ✓ تشكل المعجم الزهدي عند الشاعر ومدلولاته.

وقد اقتضى هذا أن تبنى مادة البحث على فصل تمهيدي، وفصلين تطبيقيين، وخاتمة .

الفصل التمهيدي: عرفنا فيه بالشعر وبالشاعر صاحب المدونة؛ ثم تطرقنا لتقديم نبذة تاريخية تعريفية بالمنهج السيميائي.

الفصل التطبيقي الأول : (المستويات السيميائية) درست فيه المستوى الصوتي، والمستوى الصرفي، والمستوى التركيبي، والحقول الدلالية لغرض الزهد.

الفصل التطبيقي الثاني : (سيمياء المعجم الزهدي) درست فيه دلالة العلامات السيميائية لغرض الزهد.

خاتمة الدراسة: وجعلتها خلاصتا للنتائج.

والهدف الرئيس من بحثنا هو الدراسة السيميائية لغرض الزهد عند بكر بن حماد.

وقد استعنت **بالمنهج السيميائي** في بناء تلك الخطة التي اخترتها، لما رأيت فيه من مناسبة وقدرة على مقاربة المعجم الزهدي، المشحون بالدلالات والعلامات والظلال.

وتعددت مصادر البحث ومراجعه، وفي مقدمتها الدر الوقاد في شعر بكر بن حماد، كما شملت بعض كتب تاريخ الأدب، وكتب الزهد والرقائق، وكتاب معجم السيميائيات..

وتمثلت **الصعوبات** التي واجهتني في قلة الدراسات التي تناولت شعر بكر بن حماد، وقلة المصادر والمراجع في مكتبة الجامعة، ومروري بوعكة صحية، أفقدتني القدرة على إنجاز البحث في موعده، الأمر الذي أخرني سنة كاملة، ولولا وقفة الأستاذ المشرف ودعمه، وتشجيع الأستاذ: عبد الحميد بوفاس، والأستاذ: مسعود بن ساري، والزميل يوسف لطرش، ما اكتمل هذا البحث، ولا وصل إلى هذا المستوى العلمي والمنهجي.

وقد كانت هناك دراسات شابهت دراستي، ولها فضل السبق، وأقربها: (زهديات بكر بن حماد ورثائياته، من إعداد الطالبة: نادية لشهب. وإشراف الأستاذ مسعود بن ساري). وهي دراسة فنية.

وفي الأخير أتقدم بجزيل الشكر لأستاذي المشرف "سليمان مودع" على ما أسداه لي من نصائح وإرشادات قيمة، خدمت بحثي، حيث لم يبخل علي بدعمه. وأتقدم بالشكر لكل من أسهم في تشجيعي ولو بكلمة طيبة، كما لا أنسى أن أشكر جميع الأساتذة الذين أسهموا في تكويني الفكري والعلمي. والأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل، على قبولهم مناقشتي، وتصويب مذكرتي.

والله الموفق للخير.

الفصل التمهيدي

مقاربة لمفردات العنوان

أولا: غرض الزهد

ثانيا: بكر بن حماد

ثالثا: شعر بكر بن حماد

رابعا: المنهج السيميائي

توطئة:

يحتاج القارئ أثناء عملية القراءة لإدراك بعض المفاهيم والمصطلحات المفتاحية المتعلقة بالمقروء، ولمّا كان هذا البحث دراسة سميائية لشعر الزهد عند بكر بن حمّاد؛ فإن المصطلحات الواجب ضبطها هي: الزهد، الموت، الدنيا، القبر، الغفلة، القناعة .

أولا ـ الزهد:

1 ـ المفهوم اللغوي:

جاء في معجم أساس البلاغة لجار الله الزمخشري في معنى زَهَدَ: "زَهُدَ وَزَهَدَ وزَهِدَ في الشيء: رغب عنه. وفلان زاهد بين الزَّهادة والزهد وهي قلة الطعم، ويقال: زهيد الطعم قليل المال، وقد أزهد إزهادا، وقدم إليه طعاما فتزاهدوه أي رأوه زهيدا قليلا وتحاقروه"[1]. ومنه فكلمة زهد تحمل معنى القلة والتجنب.

2 ـ المفهوم الاصطلاحي:

يعرف الزهد من الناحية الاصطلاحية على أنه: "حنين الروح إلى مصدرها الأول ولمعرفة الخالق عن طريق الزهد في الدنيا ومتاعها والرغبة عنها وتفضيل نعيم الآخرة عليها"[2].

وبهذا يمكن القول أن الزهد حالة روحية وشعور إنساني تتبلور عنه رؤية إلى الحياة؛ تتسم هذه الرؤية والممارسة بالابتعاد عن كماليات الحياة الدنيا وشهواتها، وانتظار النعيم والجزاء الحسن الذي وعد به الله عز وجل عباده المتقين في الحياة الآخرة.

---

1 - محمود بن عمر جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، (مادة سوم)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998، ج1، ص427

2 - سراج الدين محمد، الزهد والتصوف في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص05.

ثانيا ـ بكر بن حمّاد:

1 ـ أصله ونسبه:

هو بكر بن حمّاد بن سهل بن أبي إسماعيل الزّنّاتي التّاهرتي أبو عبد الرحمن، وقبيلته زنّاتة كانت من أعظم القبائل البربرية وأكثرها رجالا، ولد الشاعر سنة 200 هـ / 815 م بتاهرت عاصمة الدولة الرستمية، وأخباره قليلة في كتب التراجم والطبقات. [1]

2 ـ أطوار حياته:

2 ـ 1 ـ النشأة في تاهرت:

أمضى بكر بن حماد وقت طفولته ونشأته الأولى في مسقط رأسه تاهرت، حيث وجهه والده خلالها لحفظ القرآن الكريم وطلب العلم، وكان لهذا أن بانت عليه في مرحلة مبكرة أمارات النباهة وتفتحت قريحته الشعرية في سن السابعة عشر[2]

2 ـ 2 ـ الرحلة إلى المشرق العربي:

غادر الشاعر تاهرت متجها نحو الشرق في رحلة طلب العلم، فنزل أولا بالقيروان التي كانت حينها حاضرة من حواضر العلم والمعرفة، ثم أكمل طريقه وحط بالبصرة التي كانت تعج بالعلماء والشعراء والفقهاء والفلاسفة ...، وفي البصرة جلس تلميذا لمسدد بن مسرهد يأخذ عنه علم الحديث الشريف، كما أخذ أيضا علوم اللغة عن ابن الأعرابي، ليمضي بعدها متجها إلى بغداد التي فتحت له هي الأخرى مجالسها العلمية ونواديها الأدبية والشعرية فالتقى بأبي تمام وعلي بن الجهم، ودعبل الخزاعي، واتصل بالخليفة المعتصم فمدحه وأخذ منه العطاء والجزاء[3].

---

1 - ينظر، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 1980، ص59.

2 - ينظر، عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984، ص151.

3 - ينظر، شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 1، دت، ص157.

2 ـ 3 ـ العودة والإقامة بالقيروان:

عاد الشاعر مرة أخرى إلى القيروان سنة 239 هـ وجلس يسمع دروس العلم عن "عون بن يوسف الخزاعي" و"سحنون بن سعد"، ثم ما لبث أن انتقل إليه كرسي التدريس في الجامع الكبير بالقيروان، فالتف حوله طلاب العلم من بلاد المغرب، وخلال إقامته بالقيروان اتصل بأمراء الدولة الأغلبية ومدحهم[1].

3 ـ وفاته:

تاقت نفس الشاعر إلى تاهرت فقرر ترك القيروان سنة 295 هـ، وفي طريق عودته إلى تاهرت تعرض له عدد من اللصوص فجرحوه في يده وقتلوا ابنه عبد الرحمن الذي كان يرافقه، لكن الشاعر نجا وبلغ تاهرت وأقام بها سنة كاملة ثم توفي بها سنة 296 هـ/ 911 م، وكان تاريخ وفاته موافقا لسقوط الدولة الرستمية وزوالها[2].

ثالثا ـ شعر بكر بن حمّاد:

1 ـ الديوان:

لم يُجمع شعر بكر بن حماد قديما مما جعل الجزء الأكبر منه يتعرض للضياع، وما بقي من شعره في المصادر والمخطوطات جمعه محمد بن رمضان شاوش في ديوان وسمه بـ: "الدُرُ الوَقَّادْ مِنْ شِعْرِ بَكْرِ بنِ حَمَّادْ"، وأخرجته المطبعة العلوية بمستغانم سنة 1966 م، ومجموع ما عثر عليه جامع الديوان مائة وعشر أبيات، مجموع القصائد خمس وعدد المقطوعات أربع عشرة مقطوعة، وأطول قصائده تلك التي هجا بها عمران بن حطان وتقع في ستة عشر بيتا[3].

---

1 - ينظر، عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص 59، 60.

2 - ينظر، عبد الله بن محمد أبو بكر المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح بشير البكوش، مر محمد العروسي المطوي، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ط2، 1984، ص 21

3 - ينظر، بكر بن حماد، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، تق وجم وشر: محمد بن رمضان شاوش، المطبعة العلوية، مستغانم، الجزائر، ط 1، 1966، ص 53، 54.

2 ـ الأغراض الشعرية في ديوان بكر بن حماد:

2 ـ 1 ـ الزهد والوعظ:

يمثل شعر الزهد والوعظ حيزا كبيرا من ديوان الشاعر، ونبوغه في هذا الغرض الشعري يعود بالدرجة الأولى لطبيعة تكوينه الديني القائم على حفظ القرآن الكريم في تاهرت، ورواية الحديث النبوي الشريف ودراسته في القيروان والبصرة.

لقد تعددت الموضوعات التي كانت زهديات الشاعر تدور حولها، وأبرزها التذكير بحقيقة الموت والدعوة من خلال ذلك للحد من شهوات النفس وملذاتها، ويقول في هذا: [1]

لَقَدْ جَمَحَتْ نَفْسِي فَصَدَّتْ وَأَعْرَضَتْ وَقَدْ مَرَقَتْ نَفْسِي فَطَالَ مُرُوقُهَا

فَيَا أَسَفِي مِنْ جَنْحِ لَيْلٍ يَقُودُهَا وَضَوْءِ نَهَارٍ لا يَزَالُ يَسُوقُهَا

إِلَى مَشْهَدٍ لابُدَ لِي مِنْ شُهُودِهِ وَمِنْ جَزَعٍ لِلْمَوْتِ سَوْفَ أَذُوقُهَا

ففي هذه الأبيات تتجلى دعوة الشاعر لكبح جماح النفس وعدم شغلها بأمور الدنيا، ثم يبدي إيمانه المطلق بحقيقة الموت التي تذوقها كل نفس بشرية متأثرا في هذا بأسلوب القرآن الكريم.

2 ـ 2 ـ الهجاء:

يُعد الهجاء من الأغراض الشعرية التي برع فيها بكر بن حماد، وبراعته وشهرته في هذا الغرض تتجلى من خلال الهجاء السياسي القائم على نوع من الحرب الكلامية والجدل بين المتصارعين في مجالات الحكم والسياسة.

لقد هجا بكر بن حماد الخليفة العباسي المعتصم، كما هجا دعبل الخزاعي، ولعل نونيته في هجاء عمران بن حطان إثر مدحه عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ أشهر قصائده على الإطلاق، وهي تدخل في إطار الهجاء السياسي، يقول فيها [2]:

قُلْ لِابْنِ مُلْجِمٍ وَالأَقْدَارُ غَالِبَةٌ وَيْلَكَ هَدَّمْتَ لِلْإِسْلَامِ أَرْكَانَا

---

1 - بكر بن حماد، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، ص78.

2 -المصدر نفسه ، ص63.

قَتَلْتَ أَفْضَلَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ وَأَوّلَ النّاسِ إِسْلامًا وَإِيْمَانَا

يندد الشاعر في هذه القصيدة الشهيرة بقاتل "الإمام علي –كرم الله وجهه– "ومادحه "عمران بن حطان"، فقد قتل الخوارج "عليا" في الكوفة ثم تناحرت الأحزاب السياسية الإسلامية فيما بينها وهنا يبرز موقف "بكر بن حماد" الذي يمكن اعتباره من أهل السنة لأنه لو كان خارجيا مثل باقي سكان تاهرت وقتها لما كان ليهجو خارجيا مثله.

2 ـ 3 ـ المدح:

اتصل الشاعر في حياته الطويلة بعديد الأمراء والخلفاء فمدحهم ونال جوائزهم، وصورة الممدوح عنده تختلف من شخصية لأخرى، يقول في مدح "أبي العيش عيسى بن إدريس" صاحب تلمسان[1]:

سَائِلْ زَوَاغَةَ عَنْ فِعَالِ سُيُوفِهِ وَرِمَاحِهِ فِي الْعَارِضِ المُتَهَلِّلِ

وَدِيَارَ نَفْزَةَ كَيْفَ دَاسَ حَرِيمَهَا والخَيْلُ تُمَرِغُ بِالوَشِيجِ الذُّبَّلِ

فشخصية الممدوح في هذين البيتين تحمل صورة البطل العسكري المحارب، وهذا من خلال إحدى معاركه وغزواته التي انتصر فيها، فسبى حريمها وخلّى آثار سيوفه ورماحه ظاهرة في ذلك المكان.

وبخلاف صورة البطل العسكري تتشكل صور أخرى للممدوح في شعر بكر بن حماد الذي يقول مادحا أحمد بن القاسم صاحب مدينة كرت: [2]

إِنَّ السَّمَاحَةَ والمَرُوءَةَ والنَّدَى جُمِعُوا لأَحْمَدَ مِنْ بَنِي القَاسِمِ

وَإِذَا تَفَاخَرَتِ القَبَائِلُ وابْتَغَتْ فَافْخَرْ بِفَضْلِ مُحَمَّدٍ وَبِفَاطِمِ

إن شخصية الممدوح هنا تظهر في صورة الرجل الذي جمع مكارم الأخلاق من سماحة ومروءة وعطاء، مما جعل الشاعر يفتخر ويدعو غيره للافتخار بهذه الشخصية.

---

1 - بكر بن حماد، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد ص74.

2 - المصدر نفسه، ص 72.

2 ـ 4 ـ الرثاء:

يشغل غرض الرثاء هو الآخر جزءا كبيرا من ديوان بكر بن حماد، وتختلف اتجاهات قصيدة الرثاء عنده بين رثاء الأفراد، ورثاء المدن (تاهرت)، ورثاء النفس.

وأشهر مراثيه في رثاء ابنه عبد الرحمن الذي قتله اللصوص في أثناء الطريق من القيروان إلى تاهرت، يقول في هذا: [1]

بَكَيْتُ عَلَى الأَحِبَةِ إِذَا تَوَلُوا وَلَوْ أَنِّي هَلَكْتُ بَكُوا عَلَيَا

فَيَا نَسْلِي بَقَاؤُكَ كَانَ ذُخْرًا وَفَقْدُكَ قَدْ كَوىَ الأَكْبَادَ كَيَا

كَفَى حُزْنًا بِأَنَنِي مِنْكَ خُلْوٌ وأَنَّكَ مَيِّتٌ وَبَقَيْتُ حَيَّا

تُظْهر هذه الأبيات مرارة الألم الذي اجتاح نفسية الشاعر لفقدان ابنه الوحيد، كما تتميز الأبيات بصدق العاطفة والشعور.

وللشاعر أيضا في رثاء تاهرت عاصمة الرستميين بعد سقوطها يقول: [2]

زُرْنَا مَنَازِلَ قَوْمٍ لَمْ يَزُرُونَا إِنَّا لَفِي غَفْلَةٍ عَمَّا يُقَاسُونَا

لَوْ يَنْطِقُونَ لَقَالُوا الزَّادَ وَيْحَكُمُ حَانَ الرَّحِيلُ فَمَا يَرْجُو المُقِيمُونَا

فَالآنَ فَابْكُوا فَقَدْ حُقَّ البُكَاءُ لَكُمْ فَالْحَامِلُونَ لِعَرْشِ الله بَاكُونَا

تصور هذه الأبيات حال سكان تاهرت بعد سقوطها وتخريبها، فهم يطلبون الزاد والاستغاثة من غيرهم، وبهذه المقطوعة الشعرية يمكن عد بكر بن حماد من الشعراء الأوائل الذين نظموا في رثاء المدن والأمصار والذي برع فيه الشعراء المغاربة والأندلسيون في مرحلة لاحقة.

---

1 - بكر بن حماد، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، ص88.

2 -المصدر نفسه، ص90.

2 ـ 5 ـ وصف الطبيعة:

وصف الطبيعة يمثل جزءا صغيرا جدا من ديوان بكر بن حماد، فهو لا يتعدى هذه المقطوعة الشعرية: [1]

مَا أَخْشَنَ الْبَرْدَ وَرَيْعَانِهِ وَأَطْرُفَ الشَّمْسِ بِتَاهْرَتْ
تَبْدُو مِنَ الغِيَمِ إِذَا مَا بَدَتْ كَأَنَّهَا تَنْشُرُ مِنْ تَخَتْ
نَحْنُ فِي بَحْرٍ بِلا لُجَّةٍ تَجْرِي بِنَا الرِّيحُ عَلَى السَّمَتْ
نَفْرَحُ بِالشَّمْسِ إِذَا مَا بَدَتْ كفَرْحَةِ الدُّمْيِ بِالسَّبَتْ

وعلى الرغم من كونه لا يتعدى هذه الأبيات إلا أنها تكشف عن براعة في التصوير وقدرة على التخيل والربط بين العناصر المختلفة، فالشاعر هنا لجأ إلى تركيب صورة شعرية، إذ شبه السماء الواسعة التي تسكنها الغيوم فتحجب الشمس عن البحر الواسع أيضا من دون لجة، وهنا نجد أنه ربط بين السماء والبحر من منطلق أن كليهما واسع، كما ربط بين الشمس واللجة من منطلق أن كليهما غائب، وهنا تتجلى براعة الشعراء في ربط العناصر المختلفة لتشكيل الصور الشعرية.

3 ـ آراء العلماء في شعر بكر بن حماد:

وقف النقاد والعلماء على شعر بكر بن حماد وقدروا شاعريته وبراعته رغم أن ما بلغ أيديهم من شعره شيء قليل.

يقول عمر فروخ يصف شعره: "وهو شاعر مجيد متفنن في أبواب الشعر متين السبك حسن الديباجة سهل التراكيب فصيح الألفاظ يجيد في القصائد الطوال والمقطعات" [2] ، وهذا القول في شعر بكر بن حماد يدل على أنه كان شاعرا مطبوعا.

أما شوقي ضيف فيقول عنه: "وهو استهلال مبكر في القرن الثالث الهجري لما ينتظر الجزائر في الشعر من مستقبل خصب" [1] وهنا يجعله صاحب القول في عمادة الشعراء الجزائريين ومن خلاله يؤكد النبوغ الجزائري في ميدان الشعر.

---

1 - بكر بن حماد، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، ص61.

2 - عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج4، ص152.

وتحدث عنه أيضا مبارك الميلي قائلا: "وكان نابغة في الأدب واشتهر بالشاعر، وله القصائد الطويلة الجيدة في الأغراض المختلفة" [2] ، ووصفه هنا بالنابغة يدل أن شعره جيد لأن لقب النابغة لا يعطى إلا لفطاحل الشعراء.

رابعا ـ المنهج السميائي:

1 ـ المصطلح والمفهوم:

السمياء في اللغة العربية من الفعل سَامَ أو سَوَمَ وفي معجم أساس البلاغة لجار الله الزمخشري: "وَسَمَ فَرَسَهُ: أعلمه بسومة وهي العلامة"[3].

وفي القرآن الكريم وردت الكلمة في مرات كثيرة كقوله تعالى: "تَعْرِفُهُمْ بِسِمَاهُمْ ولا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافَا" سورة البقرة ،الأية 88 ، وأيضا في قوله: " سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ"سورة الفتح ، الأية 29 ، والكلمة في القرآن الكريم حملت معنى العلامة سواء كانت مادية أو معنوية.

وفي اللغة اللاتينية كلمة سمياء يقابلها مصطلح (sémiotique) المتكون من الجذرين: (sémio) أو (séma) الذي يعني الإشارة أو العلامة، و(tique) الذي يعني العلم، ومن هنا فإن مصطلح: (sémiotique) في اللغة اللاتينية يدل على علم العلامة، أو علم الإشارة[4].

وبناء على هذا فإن مدلول كلمة سمياء من الناحية اللغوية يتقارب بين اللغتين العربية واللاتينية، إذ يحمل معنى العلامة مهما كان نوعها.

أما استعمال المصطلح نقديا في الوطن العربي فقد أفرز ثلاثة تيارات كان لها اهتمام بهذا المصطلح النقدي، فالتيار الأول آثر النقل عن اللغة الفرنسية مستعملا السميولوجيا،

---

1 - شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، ص162.

2 - مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق وتص محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر العاصمة، الجزائر، دط، دت، ج2، ص81.

3 - محمود بن عمر جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، ص 485.

4 - ينظر، فيصل الأحمر، معجم السميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2010، ص12.

أما التيار الثاني فإنه أخذ عن الأنجلوساكسونيين مستخدما السميوطيقا، كما أن اتجاها ثالثا اعتمد معطيات التراث العربي فأطلق السميائيات[1].

ورغم الاختلاف الحاصل في المصطلح؛ فإن السميولوجيا، أو السميوطيقا، أو السميائيات: "علم يدرس بنية الإشارات وعلائقها في هذا الكون، وكذلك توزعها ووظائفها الداخلية والخارجية."[2]

وبهذا يمكن القول أن السمياء لا تختص بدراسة الخطاب اللغوي فحسب؛ بل تتعداه لدراسة الخطاب غير اللغوي القائم على الرموز والإشارات.

2 ـ السمياء نشأة وتطور:

2 ـ 1 ـ الأسس المعرفية:

ساهمت اللسانيات العامة منذ ظهورها في دفع الدرس اللغوي والنقدي دفعة جديدة نحو الأمام، ومن نتائج الثورة السوسيرية علم السمياء الذي تنبأ به دوسوسير وأكد أن ثمة علما جديدا يلوح في الأفق تكون اللسانيات جزءا منه هو علم العلامات، أما رولان بارت فقد أكد أن السمياء هي جزء من الدرس اللساني وليس العكس، وإضافة إلى اللسانيات التي تعد الأساس المعرفي الرئيس للسمياء فإن الجهود التي بذلها الفيلسوف الأمريكي تشارلز بيرس في إرساء الدرس السميائي ونهله من قواعد المنطق الأرسطي والفلسفة تجعلهما من الأسس المعرفية التي ساهمت في قيام السمياء، وهذا إضافة لعلم النفس العام، وعلم النفس الاجتماعي، وهكذا ولدت السمياء باجتهاد أوروبي أمريكي[3].

---

1 - ينظر، صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط 1، 2002، ص121–122.

2 - عمار شلواي، السمياء المفهوم والآفاق، محاضرات الملتقى الوطني الأول السمياء والنص الأدبي، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 07 و08 نوفمبر 2000، ص16.

3 - ينظر، يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي: جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط 3، 2010، ص 93 وما بعدها.

2 ـ 2 ـ السيمياء في النقد الغربي المعاصر:

التف حول الدرس السميائي عدد كثير من النقاد الغربيين الكبار، مستعملين آليات المنهج الجديد في مقاربة النصوص الأدبية خاصة ، وهذا جدول يبين أهم الدراسات التي اعتمدت هذا المنهج عند الغربيين:

صاحب الكتاب	عنوان الكتاب
أمبيرتو إيكو	السميائية وفلسفة اللغة.
روبرت شولز	السمياء والتأويل
جيرارد دولودال	السميائيات أو نظرية العلامات
رولان بارت	درس السميولوجيا
يوري لوتمان	سمياء الكون

2 ـ 3 ـ السمياء في النقد العربي المعاصر:

كان تلقي السمياء في النقد العربي المعاصر متأخرا من الناحية الزمنية، لكنه كان تلقيا يتسم بالحيوية؛ حيث أفردت الجمعيات والمجلات والملتقيات لهذا السرح النقدي الجديد على غرار رابطة السميائيين الجزائريين، [1] وهذه أبرز الدراسات التي اعتمدت المنهج السميائي في النقد العربي المعاصر:

صاحب الكتاب	عنوان الكتاب
محمد مفتاح	في سمياء الشعر القديم دراسات نظرية وتطبيقية.
عبد الملك مرتاض	السبع المعلقات تحليل أنثروبولوجي سمائي لشعرية نصوصها.
سعيد بنكراد	السميائيات السردية مدخل نظري.

1 - ينظر: يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 98.

صلاح فضل	شفرات النص.
منذر عياشي	العلاماتية وعلم النص.

الفصل التطبيقي الأول

المستويات السيميائية

أولا: سيمياء الصوت

ثانيا: سيمياء الصرف

ثالثا: سيمياء التركيب

رابعا: سيمياء المعجم

أولا ـ سمياء الصوت ودلالته:

أَوْلَتْ النظرية النقدية المعاصرة اهتماما كبيرا بالجانب الصوتي في تشكيل الخطاب الأدبي، وهذا باعتباره أصغر وحدة دالة متمركزة في متن النصوص الأدبية، والصوت اللغوي هو: "الأثر السمعي الحاصل من احتكاك الهواء بنقطة من نقاط الجهاز الصوتي عندما يحدث في هذه النقطة انسداد كامل أو ناقص ليمنع الهواء الخارج من الجوف من حرية المرور مثل: الباء التي هي نتيجة انسداد كامل في الشفتين"[1].

وإذا كان هذا القول قد أوضح ماهية الصوت اللغوي وتشكله؛ فإن هذا الصوت يشكل إيقاعا عن طريق التواتر والتكرار والانتظام، وهذا الجانب الإيقاعي في النصوص هو الذي تتجه إليه الأبحاث بالدراسة والتحليل.

1 ـ سميائية الإيقاع الخارجي:

1 ـ 1 ـ الوزن الشعري:

الوزن أحد أدوات تشكيل النصوص الشعرية، وهو عند علماء العروض: "سلسلة السواكن والمتحركات المستنتجة من البيت الشعري، مجزأة إلى مستويات مختلفة من المكونات: الشطران، التفاعيل، الأسباب، الأوتاد"[2]، وبهذا يمكن القول عن الوزن أنه وحدة إيقاعية ذات نغم منتظم.

لقد جعل النقد العربي القديم الوزن الشعري أساس الشعرية العربية، فقدامة بن جعفر يقول في حد الشعر: "قول موزون مقفى يدل على معنى" [3]، وهذا القول حقا يدل على شرف الوزن الشعري وقيمته في نظر النقد العربي، فالوزن والتقفية والمعنى كلها عناصر بناء القصيدة الشعرية، لكن قدامة بن جعفر يقدم هنا الوزن على بقية العناصر الأخرى ليدل على أنه أول لازم من لوازم بناء القصيدة.

---

1 – محمد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط 4، د ت، ص07.

2 – مصطفى حركات: أوزان الشعر العربي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، ط 1، 1998، ص07.

3 – قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص64.

ولمّا كانت أوزان الشعر العربي ستة عشر وزنا يختار منها الشاعر واحدا يبني عليه قصيدته على أن يناسب موضوعها، فإن الأوزان التي اختارها بكر بن حماد لزهدياته موزعة في الجدول التالي:

الوزن الشعري	الطويل	البسيط	الوافر	المجموع
عدد مرات التكرر	03	01	01	05

ويمكن التعليق على معطيات الجدول بما يلي:

ــ نظم الشاعر زهدياته على البحور المركبة القائمة على تفعيلات مختلفة.

ــ يعكس توظيف هذه الأوزان تمسك الشاعر بالنظم وفق الموروث العربي الجاهلي، فأوزان: الطويل، والبسيط، والوافر، هي الأكثر تداولا عند الشعراء العرب القدامى.

ــ يدل اختيار الشاعر لهذه الأوزان على افتنانه في نظم زهدياته وعنايته في إبداعها، فحازم القرطاجني يقول في المفاضلة بين الأوزان الشعرية: "ووجه الافتنان في بعضها أهم من بعض، فأعلاها في ذلك الطويل والبسيط، ويتلوها الوافر والكامل" [1]، وهذا يؤكد شعرية جانب الوزن في قصائد ومقطعات بكر بن حماد الزهديات.

1 ـ 2 ـ القافية:

تعد القافية مكونا أساسيا آخر من مكونات القصيدة العربية القديمة، وهي: "آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه، مع المتحرك الذي قبل الساكن" [2]، وتنقسم حسب رويها إلى: مطلقة يكون فيها الروي متحركا، ومقيدة يكون فيها الروي ساكنا [3]، ويعنى الشعراء باختيار القوافي الجيدة كونها تشكيلا إيقاعيا يتكرر بانتظام في كل القصيدة.

---

1 – حازم بن محمد أبو الحسن القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس العاصمة، تونس، ط 3، ص241.

2 – يوسف بن أبي بكر أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ضب وتع: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1989، ص568.

3 – ينظر، محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، دار الشروق، القاهرة، وبيروت، لبنان، ط 1، 1999، ص216

وزهديات بكر بن حماد الخمس جاءت قافيتها مطلقة تعكس الحيوية النفسية المتمركزة في عمق التجربة الشعرية.

1 ـ 3 ـ الروي:

يمثل الروي باعتباره: "الحرف الصحيح آخر البيت، وهو إما ساكن أو متحرك، فالروي الساكن يصلح أنه يمثله أغلب الحروف الهجائية، وهناك قلة من الحروف لا تصلح أن تكون رويا" [1] نسقا إيقاعيا يتمظهر في آخر القصيدة، فيكون بذلك آخر ما يتلقاه السامع، وللروي دور كبير في استقطاب السامعين إذا كان من الحروف الجيدة الصالحة لذلك مناسبا لموضوع القصيدة وغرضها.

وهذا الجدول يبين الرويات التي اختارها بكر بن حماد لزهدياته:

الروي	الدال	الضاد	الهاء	المجموع
عدد مرات التكرر	03	01	01	05

تكشف معطيات هذا الجدول ما يلي:

ــ اعتماد الشاعر بشكل كبير على الدال رويا لأكثر من نصف زهدياته.

ــ زاوج بكر بن حماد في رويات الزهديات بين الأصوات المجهورة: (الدال ــ الضاد)، والأصوات المهموسة: (الهاء).

ــ الدال والضاد من الأصوات الانفجارية واستخدام الشاعر لهما رويا في أربع قصائد يخلق نسقا صوتيا منبها للمتلقي، وهنا تتولد العلاقة بين الدال ومدلوله، فإذا اعتبرنا أن هذاين الرويين علامة لغوية دالة فإن مدلولها يتجلى في ترهيب من هو غافل منشغل بالدنيا غير مبال بالآخرة.

ــ الهاء من الأصوات المهموسة التي اعتمدها بكر بن حماد رويا لقصيدة من زهدياته لتشكيل نسق صوتي تتولد عنه دلالة الذات.

---

1 – عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص137.

2 ـ سميائية الإيقاع الداخلي:

تتركز الدراسة السميائية للخطاب الشعري في مستوى الإيقاع الداخلي على نوع الأصوات المستخدمة ومدلول ذلك الاستخدام، ولتعذر دراسة الأصوات في كامل زهديات بكر بن حماد كان اللجوء هنا لاختيار قصيدة: "ذكر الموت" [1]، وهذا لطولها من جهة ووضوح معانيها وشهرتها من جهة أخرى.

2 ـ 1 ـ نوع الأصوات حسب مخارجها:

المخرج والصوت	عدد مرات التكرر	النسبة المئوية
لثوي: (ل، ر، ن)	80	23.11
شفوي: (ب، م، و)	65	18.77
أسناني لثوي: (ت، ط، د، ض، س، ز، ص)	63	18.17
غاري: (ش،ج،ي)	37	10.68
حنجري: (الهمزة، ه)	35	10.10
حلقي: (ع،ح)	21	06.06
لهوي: (ق)	20	05.78
شفوي أسناني: (ف)	09	02.60
طبقي: (ك،غ، خ)	09	02.60
أسناني: (ث، ذ، ظ)	07	02.00

تُظْهِر أرقام الجدول المعطيات التالية:

1 – بكر بن حماد: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، ص78– 79.

ــ اعتماد الشاعر في القصيدة على الأصوات اللثوية بنسبة كبيرة، وهذا رغم كونها ليست الأسهل من ناحية إخراجها ونطقها.

ــ استعمل الشاعر الأصوات ذات الإيقاع الفخم كالراء واللام بكثرة، وساهم استخدام هذا النسق الصوتي في خلق دلالة الترهيب من المعاصي كون الموت منتظرا وقريبا.

2 ـ 2 ـ نوع الأصوات من حيث الصوائت والصوامت:

تنقسم أصوات العربية من جانب آخر إلى: أصوات صوائت تتمثل في: الفتحة، الضمة، الكسرة، السكون، التنوين، الشّدة [1]، وأصوات صوامت هي كل حروف اللغة عدا حروف المد[2].

أ ـ الأصوات الصوائت في القصيدة النموذج:

	الفتحة	الضمة	الكسرة	السكون	الشّدة	التنوين	المجموع
عدد مرات التكرر	158	58	57	49	13	13	348
النسبة المئوية	45.40	16.66	16.37	14.08	03.73	03.73	99.97

إن معطيات هذا الجدول تُبرز النقاط التالية:

ــ استعمل بكر بن حماد الفتحة في قصيدة ذكر الموت كنسق صوتي غالب على بقية الصوائت، يدل هذا التوظيف على جنوح الشاعر للتشكيل الصوتي السهل من جهة، ومن جهة أخرى تدل الفتحة على النمط المباشر في الخطاب.

ــ مثَّلَ السكون نسبة معتبرة من صوائت القصيدة خلق به أداة انتقال من نسق صوتي متحرك إلى ساكن، وهذا الانتقال المتكرر ينتج إيقاعا مبنيا على الحيوية.

---

1 – ينظر، زرناجي شهيرة: قصيدة عاشق من فلسطين دراسة سميائية دلالية على مستويات اللغة، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009 ــ 2010.

2 – رشيد عبد الرحمن العبيدي: معجم الصوتيات، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، العراق، ط 1، 2007، ص214.

ــ تتساوى نسبة ورود الشدة (التضعيف) والتنوين في هذه القصيدة، وإذا كانت الشدة تخلق نسقا صوتيا منقبضا فخما؛ فالتنوين يولد نسقا صوتيا منطلقا سلسا، وتدل هذه الثنائية على تنوع الأنساق المولِدة على مستوى التجربة الشعرية.

ب ـ الأصوات الصوامت في القصيدة النموذج:

الصوامت	عدد مرات التكرر	النسبة المئوية	الصوامت	عدد مرات التكرر	النسبة المئوية
أ	13	03.75	ض	02	00.57
ب	09	02.60	ط	08	02.31
ت	20	05.78	ظ	02	00.57
ث	03	00.86	ع	07	02.02
ج	05	01.44	غ	03	00.86
ح	14	04.04	ف	20	05.78
خ	02	00.57	ق	09	02.60
د	13	03.75	ك	04	01.15
ذ	02	00.57	ل	41	11.84
ر	09	02.60	م	21	06.06
ز	04	01.15	ن	30	08.67
س	12	03.46	ه	22	06.35

ش	04	01.15	و	35	10.11
ص	04	01.15	ي	28	08.09

يمكن التعليق على معطيات الجدول بما يلي:

ــ استأثر صوت اللام بالنسبة الأكبر من الصوامت الواردة في القصيدة النموذج، واللام من الأصوات الحسنة الإيقاع المقدمة من طرف علماء اللغة والأصوات حتى أن الشعراء القدامى اعتمدوه كثيرا حرفا رويا لقصائد جيدة من عيون الشعر العربي، وتواتر هذا الصوت في القصيدة ساهم في جمالية إيقاعها كثيرا.

ــ صوامت القصيدة في الجزء الأعظم منها تميل إلى الفخامة والجهر مثل: اللام، والراء، وهذا يحمل مدلول القصيدة العام المتمثل في الترهيب من هول موت محتوم منتظر.

ثانيا ـ سمياء الصرف ودلالته:

اهتم علماء اللغة العربية كثيرا بأحوال الكلمة المفردة وجعلوا لها علما مستقلا يسمى علم الصرف، ويعرف ابن عصفور الأشبيلي هذا العلم قائلا: "من علوم العربية، إذ هو معرفة ذوات الكلم في أنفسها، من غير تركيب" [1]، وحدد العلماء مباحث هذا العلم في قسمين من أقسام الكلمة هما: الاسم المتمكن، والفعل المتصرف[2].

1 ـ دلالة الاسم:

الاسم كما جاء تعريفه عند علماء العربية: "ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بزمن"[3]، وينقسم الاسم إلى تقسيمات كثيرة باعتبارات مختلفة، وهذه أبرز أنواع الاسم التي استعملها بكر بن حماد في زهدياته:

---

1 – علي بن مؤمن بن عصفور أبو الحسن الأشبيلي: الممتع في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 1996، ص33.

2 – ينظر، علي بهاء الدين بوخدور: المدخل الصرفي تطبيق وتدريب في الصرف العربي، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1988، ص 08.

3 – راجي الأسمر: المعجم المفصل في علم الصرف، مر: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1993، ص 80.

1 ـ 1 ـ الاسم العلم:

من أنواع الاسم الواردة في قصائد بكر بن حماد الزهديات: اسم العلم الذي يعرف على أنه: "اسم يدل على مسماه مطلقا دون الحاجة إلى قرينة، فهو اسم معين بحسب وضعه، مثل أسماء الأشخاص، وأسماء المدن، وأسماء الأنهار، وغيرها"[1].

لقد وردت في قصائد ومقطعات شعر الزهد عند بكر بن حمّاد أسماء أعلام عديدة هي:

أ ـ لفظ الجلالة:

برز استخدام لفظ الجلالة: (الله، ربي) في هذه الزهديات بشكل واضح، وهذا البيت مثال على هذا الاستخدام[2]:

تَمُرُّ اللَّيالِي بِالنُّفُوسِ سَرِيعَةً وَيُبْدِءُ رَبِّي خَلْقَهُ وَيُعِيدُ

إن لفظ الجلالة الوارد في هذا البيت (ربي) اسم علم؛ وهو هنا علامة لغوية حاملة لمدلول الخالق.

ب ـ أسماء الأنبياء والسابقين:

استعان الشاعر بالتاريخ مستعيدا شخص نوح عليه السلام، ولقمان الحكيم، وشدّاد بن قراد، و قوم عاد، وكل أسماء الأعلام هذه استعملها بكر بن حماد في بيت واحد، يقول[3]:

هُمَا هَدَمَا دَعَائِمَ عُمْرَ نُوحٍ وَلُقْمَانَ وَشَدَّادَ وَعَادِ

لقد عاش نوح عليه السلام تسعة قرون لكن أدركه الموت، كما كان لقمان الحكيم رجلا صالحا ومات، أما شدّاد بن قراد فكان من سادة القوم جبّارا مستعبدا غيره ومضى بعد هذا لجوار خالقه، ويضرب المثل في القوة بقوم عاد الذين أبادهم الله بأكملهم.

---

1 – يوسف عطا الطريفي: الوافي في قواعد الصرف العربي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2010، ص39.

2 – بكر بن حماد: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، ص75.

3 – المصدر نفسه، ص 76.

من هنا تكون العلامات اللغوية أسماء الأعلام: نوح، لقمان، شدّاد، عاد، تحمل مدلول الفناء، فالمعمر طويلا، والصالح، والسيد، والقوي كلٌ سائر إلى الفناء.

ج ـ بكر بن حمّاد:

ذكر الشاعر اسمه الكامل في هذا البيت[1]:

فَيَا بَكْرَ بنَ حَمَّادٍ تَعَجَّبْ لِقَوْمٍ سَافَرُوا مِنْ غَيْرِ زَادِ

وهذا التصريح المباشر بالاسم علامة لغوية تدل على الحيرة المبثوثة في الذات.

د ـ الدِّيدان:

استخدم بكر بن حمّاد اسم العلم الحيوان (الدّيدان)، إذ يقول[2]:

سَتَأْكُلُهَا الدِّيدَانُ فِي بَاطِنِ الثَّرَى وَيَذْهَبُ عَنْهَا طِيبُهَا وَخَلُوقُهَا

تمثل الديدان في هذا البيت علامة لغوية دالة على مصير النفس البشرية بعد فنائها.

1 ـ 2 ـ الاسم المشتق:

هذا النوع من الاسم جرى تعريفه على أنه: "اسم مأخوذ من غيره، يدل على ملاحظة صفة، مثل: عَالِمٍ (تدل على ذات اتصفت بالعلم)" [3]، وورد في شعر الزهد عند بكر بن حماد الاسم المشتق على عدة صيغ هي:

أ ـ اسم الفاعل:

يعرف اسم الفاعل بأنه: "اسم مشتق من الفعل المعلوم، على وزن فاعل، للدلالة على وصف من قام بالفعل" [4]، ولم يستعمل بكر بن حماد هذه الصيغة في شعره كثيرا ومنها قوله[5]:

لَقَدْ جَفَّتِ الأَقْلَامُ بِالْخَلْقِ كُلِّهِمِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ خَائِبٌ وَسَعِيدُ

---

1 – بكر بن حماد: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، ص 76.

2 – المصدر نفسه، ص 78.

3 – يوسف عطا الطريفي: الوافي في قواعد الصرف العربي، ص 64.

4 – علي بهاء الدين بوخدور: المدخل الصرفي تطبيق وتدريب في الصرف العربي، ص 69.

5 – بكر بن حماد: المصدر السابق، ص 75.

جاءت كلمة (خائب) في عجز البيت على وزن فاعل من الفعل المعلوم خَابَ، وهي علامة لغوية تدل على مصير الإنسان الشقي.

ب ـ صيغة المبالغة:

من المشتقات ما يعرف بصيغة المبالغة وهي: "اسم مشتق من الفعل ليدل على معنى في اسم الفاعل لتوكيد معناه وتقويته والمبالغة فيه. وحقيقتها أنها ألفاظ تدل على ما يدل عليه اسم الفاعل بزيادة في المعنى وهي في واقعها أسماء فاعل تحولت إلى صيغ مبالغة للتكثير، وأشهر أوزانها خمسة هي: فَعَّال، مِفْعَال، فَعُول، فَعِيل، فَعْل، ولديها أوزان أخرى"[1]، واستعمل بكر بن حماد صيغة المبالغة في قوله:

تَمُرُّ اللَيَالِي بِالنُّفوسِ سَرِيعَةً وَيُبْدِئُهُ رَبِّي خَلْقَهُ وَيُعِيدُ

استعمل الشاعر كلمة (سريعة) في صدر البيت وهي صيغة مبالغة مشتقة من الفعل الرباعي أَسْرَعَ على وزن فَعِيل، وهي بهذا الاستعمال علامة لغوية دالة على معنى زمني مضمونه أن الزمن يقطف نفوس البشر بسرعة فائقة.

2 ـ دلالة الفعل:

يعرف علماء اللغة العربية الفعل بأنه: "الكلمة الدالة على حدث مقترن بزمن"[2]، وبهذا فأفعال العربية تأتي على أزمان ثلاثة: ماضي، مضارع، أمر.

يمثل هذا الجدول نسب ورود الأفعال في زهديات بكر بن حماد حسب أزمانها:

	الماضي	المضارع	الأمر	المجموع
عدد مرات التكرر	31	37	04	72
النسبة المئوية	43.05	51.38	5.55	99.98

ويكون التعليق على معطيات الجدول بما يلي:

---

1 – يوسف عطا الطريفي: الوافي في قواعد الصرف العربي، ص96.

2 – محمد إبراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 1، 2011، ص 231.

ــ فرض المضارع نفسه نسقا زمنيا غالبا في زهديات بكر بن حماد، ومدلول توظيف المضارع يتمثل في رؤية الوجود عند الزهاد القائمة على تسخير الحاضر لأجل المستقبل، من هنا تبرز ثنائية الدنيا الحاضر والآخرة المستقبل لتنعكس على الزمن مولدة المضارع بشقيه الحاضر والمستقبل.

ــ إن توظيف الزمن الماضي بنسبة معتبرة ينتج دلالة الاسترجاع، لأن الزاهد يبقى دائما يتذكر ما اقترفته نفسه من آثام.

ــ وظف الشاعر الأمر بنسبة قليلة جدا، وحمل توظيف الأمر هنا دلالة الصراع والتوتر بين الإنسان وذاته، فالذات البشرية غالبا ما تميل عكس الخير، وهنا يتدخل وازع الدين والخير عند الزاهد فيخاطبها قصد تطويعها.

ثالثا ـ سمياء التركيب ودلالته:

اهتم علماء اللغة العربية بتركيب الكلام فأطلقوا على الكلام المركب المفيد الجملة، واختص بدراسة هذا المبحث علم النحو، حيث قام الدرس النحوي العربي بدراسة الجملة من حيث العلاقات القائمة بين عناصرها ومنطلقات تشكيلها.

وتنقسم الجملة العربية إلى نوعين هما: الجملة الفعلية التي تتركب من فعل وفاعل ومفعول به شريطة تعدي الفعل، والجملة الاسمية المتكونة من مبتدأ وخبر.

1 ـ الجملة الفعلية:

استعمل بكر بن حماد في الزهديات جملا فعلية كثيرة منها: (تمر الليالي، أرى الخير، أحسب أن الخير منه بعيد، تبيت على فراشك، تبارك من ساس الأمور، تجهمت خمسا، يصبح أقواما، يأتيك في حين البيات طروقها، قف بالقبور، راحوا جميعا، برز القوم) [1].

يمكن التعليق على هذه العينات من الجمل الفعلية بما يلي:

ــ يميل الشاعر لاستخدام الفاعل ضميرا يعود على الفاعلين التاليين: (الذات، الله)، وهذا الاستخدام يعكس الارتباط الروحي الوثيق بين الذات الشاعرة والذات الإلهية.

---

1 – بكر بن حماد: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، ص 75 إلى 82.

ــ توضح هذه العينات كثرة الجمل الفعلية المتكونة من فعل وفاعل، مما يجعل خطاب الزهد يتسم بالتكثيف دون التفصيل.

1 ـ 2 ـ الجملة الاسمية:

وظف الشاعر الجملة الاسمية بشكل قليل ومن نماذج هذا التوظيف: (منهم شقي، نهار مشرق، مَنْ قسم الأرزاق، مواطن للقصاص، للنفس حاجات، قوم تقطعت الأسباب بينهم، بالقلوب حياة، هذا يباكر دنياه، الموت يهدم، سحاب المنايا كل يوم مظلة). [1]

إن هذه العينات من الجمل الاسمية يمكن القول عنها:

ــ إذا كانت الجمل الاسمية عموما تستخدم لغرض الوصف؛ فالشاعر استعملها لهذا، والوصف هنا متعلق بـــ: (طبائع الناس وأخلاقهم، والذات الإلهية، وهول الموت)، ودلالة توظيف هذه الموصوفات تعكس الاعتقاد الذي لا يفارق ذهنية الزاهد؛ فالناس وطبائعهم مخلوق لابد له من الانتقال لخالقه، وطريق هذا الانتقال يكون عن طريق الموت.

المخلوق ←——— الموت ———→ الخالق

ــ لم تنح هذه الجمل الاسمية التقليد النحوي العربي العادي، فقد ورد المبتدأ على عدة أوجه: اسما موصولا، نكرة، مؤخرا عن خبره، اسم إشارة، كما ورد الخبر بدوره على عدة أوجه: محذوف جوازا، جملة فعلية، شبه جملة جار ومجرور، مقدما عن المبتدأ.

رابعا ـ سيمياء المعجم ودلالته:

يتكون معجم الزهديات من الحقول الدلالية التالية:

1 ـ حقل الإنسان:

تشكل هذا الحقل الدلالي من مجموع الألفاظ التالية: (الخَلق، النفوس، نوح، لقمان، شداد، عاد، بكر بن حماد، الناس، نفسي، الأقدام، الأجساد، القلوب، أكباد، صدت، أعرضت، مرقت، جمحت،أمنت).

إن موضوع الزهديات يدور حول جانب روحي حياتي للإنسان؛ من هنا كان توظيف هذا الكائن علامة لغوية تحمل مدلول ما يلي:

القلب: يدل على الجانب الروحي الإيماني للإنسان ويمثل المركز.

---

1 – بكر بن حماد: الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، ص 75 - 82.

الجسد، الأقدام، الأكباد : تدل على الجانب الإنساني المادي ويمثل هامشا في تجربة الزهد لأن الزاهد لا يجب أن ينشغل به.

نفسي، بكر بن حماد: تدل هذه الثنائية على الصراع الذي يخوضه الإنسان الزاهد بينه وبين ذاته.

الخلق، النفوس، الناس: وتحمل مدلول رؤية الآخر، فالزاهد يرى غيره من زاوية نظر خاصة.

صدت، أعرضت، مرقت، أمنت، جمحت: تدل هذه الألفاظ على الاسترجاع والاستذكار، فالإنسان الزاهد يبقى يتذكر ويسترجع ما قدمه من أفعال يحاسب عليها في غد قريب.

2 ـ حقل الموت:

يمكن تكوين حقل دلالي دال على الموت في زهديات بكر بن حماد من خلال الألفاظ التالية: (الموت، المنايا، نعش، فارق، سافروا، راحوا، الثرى، جزع، أسف، النفس، الله).

وتحمل هذه العلامات اللغوية المدلولات الآتية:

الموت، المنايا: تدل على الشيء المرتقب حدوثه، فالزاهد لا تمر عليه لحظة واحدة إلا ويحس نفسه ميتا في اللحظة القادمة، فالموت يمثل فكرة لا تفارق ذهن الزاهد.

فارق، سافروا، راحوا: تدل على الانتقال والمجاوزة، والنسق الفكري للزاهد يقوم على الإيمان القوي بحدوث هذا الانتقال من عالم إلى عالم آخر.

الثرى: وتحمل هذه الكلمة مدلول حلقة النهاية لكل ذات إنسانية.

الجزع، الأسف: للدلالة على موقف الإنسان من الموت وشعوره نحوه.

الله: يحمل مدلول الفاعل أو المدبر كون الموت قدرا إلهيا يقدره متى يشاء وكيف يشاء.

النفس: للدلالة على العمومية؛ أي أن كل نفس بشرية ستتجرع الموت.

من مدلول هذه الكلمات تتشكل دلالة الموت في الزهديات: فالنفس البشرية قدر لها المفارقة والسفر إلى جوار ربها بعد أن توضع في الثرى مما يخلق الجزع والأسف من هذه النهاية لدى الإنسان.

3 ــ الحقل الزماكاني:

من الألفاظ الدالة على الزماكانية في زهديات بكر بن حماد ما يلي: (الدنيا، القبور، مواطن القصاص، غروب، ليل، نهار، يوم).

وهذه العلامات اللغوية تحمل المدلولات الآتية:

الدنيا، ليل، نهار، يوم: تمثل الفضاء أو الحيز الذي تسكنه الذات الإنسانية في مرحلة أولى.

القبور، غروب: تدل على الرحيل عن الحياة الدنيا.

مواطن للقصاص: تدل على البعث من جديد في موضع آخر لغاية الحساب.

الدنيا، الليل، النهار، يوم ←——— غروب، القبور ←——— مواطن للقصاص

(زمن ومكان أول) (زمن ومكان ثان) (زمن ومكان ثالث)

الفصل التطبيقي الثاني

سيمياء المعجم الزهدي

أولا، سيمياء الموت

ثانيا، سيمياء الدنيا

ثالثا، سيمياء القبر

رابعا، سيمياء الغفلة

خامسا، سيمياء القناعة

الزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا. ومادتها اللغوية زهد يزهد زهدًا فهو زاهد من الزهادة والجمع للرجال: زهّاد. وقد ترد بمعنى الرخيص والقليل والحقير وما إلى ذلك[1].

سيمياء الزهد غنية بالعلامات، ذلك أن الزهد أقرب من التصوف، والشاعر نفسه قد أكثر وأبدع في الزهد خلافا للأغراض الأخرى. ".. فشعر هو خير كله، وذلك ما كان في باب الزهد، والمواعظ الحسنة، والمثل العائد على من تمثل به بالخير، وما أشبه ذلك "[2]

فمما يحْكى عَن بكر بن حَمَّاد – رَحمَه الله – أَنه خرج يَوْمًا إِلَى الْقُبُور وَجعل ينظر إِلَى امتداد الْقُبُور ويفكر فِي الأحباب والإخوان وَالْأَصْحَاب وَالْجِيرَان ؛ ثمَّ بَكَى حَتَّى طَال بكاؤه وبلت دُمُوعه لحيته ثمَّ جعل يَقُول[3]:

زرنا منَازِل قوم لا يزورونا
إِنَّا لفي غَفلَة عَمَّا يقاسونا
لَو ينطقون لقالوا الْجد وَيحكم
جدوا الرحيل فقد آوى المقيمونا
الْمَوْت أحدق بالدنيا وعزتها
وَفعلنَا فعل قوم لَا يموتونا
فابكوا كثيرا فقد حق الْبكاء لكم
فالحاملون لعرش الله باكونا

1- ينظر: قرص الموسوعة الشعرية، إشراف محمد أحمد السويدي، الإصدار الثالث، 1997 – 2003، الموقع الإلكتروني www.cultural.org.ae.

2- الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981م، ج1، ص118.

3- بكر بن حماد، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، ص90.

والقارئ للأبيات يقف على علامات بارزة للزهد عامة، تكاد تتكرر في كل النصوص التراثية، فالباحث يجد الموت، والدنيا، والقبر، الغفلة، والقناعة. وكل لفظة من تلك الألفاظ تشكل علامة سيميائية زهدية، هذا بيانها:

أولا : سيمياء الموت: الموت علامة بارزة في غرض الزهد، لا يستغني عنها شعراء هذا اللون؛ وهم بذلك يعملون بنصيحة الرسول – صلى الله عليه وسلم – «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَادِمِ اللَّذَّاتِ»، يَعْنِي الْمَوْتَ "[1]. والموت تعني خروج الروح إلى بارئها، حيث ينتقل الشخص بعد ذلك إلى حياة برزخية ثم تقوم قيامته؛ أي يبعث من جديد ليحاسب على أعماله برحمة من الله سبحانه ثم إلى الجنة أو إلى النار. وتعميقًا لهذه النظرة للموت فإن الدنيا في نظر الإسلام إنما هي معبر أو طريق موصّل إلى الآخرة حيث الخلود والبقاء. قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ العنكبوت: 64. والموت أيضًا نهاية الحياة؛ فكل شيء حي نهايته الموت، ولكن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي يستطيع أن يدرك الموت ويتخيّله.

يخشى معظم البشر الموت ويحاولون أن يتجنبوا التفكير فيه مع أن التفكير فيه يُذكّر الإنسان بالآخرة. وذلك ما يحرس عليه الشاعر لتزهيد الناس في الدنيا. فالموت ليس شرا كله، على حد قول " عمر بن عبد الْعَزِيز – رَحمَه الله – لَو فَارق ذكر الْمَوْت قلبِي ساعة لفسد"[2].

والموت عند الشاعر منزل قوم لا يزورونا أحدا، وعلى كل حي أن يزورهم، ليأخذ العبرة من موتهم ومصيرهم. ونظرة الشاعر إلى الموت عميقة، فهو لا يرى الظاهر فحسب، بل يرى ما بعد الموت، فالموت معاناة للكافرين والمنافقين، وليس زوالا وفناء. قال الشاعر قديما:

فلو أنا إذا متنا تركنا

1- أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 2001، ج13، ص301.

2- عبد الحق بن عبد الرحمن ابن الخراط ، العاقبة في ذكر الموت ، تحقيق خضر محمد خضر ، مكتبة دار الأقصى ، الكويت، ط2، 1986، ص39.

لكان الموت راحة كل حي

ولكنا إذا متنا بعثنا

ونسأل بعده عن كل شي

وأسلوب التذكير بالموت أسلوب قرآني، لا نشك في أن الشاعر استوحاه منه. قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ – سورة الجمعة، الآية 8 –. كما أن توظيف الموت لإصلاح النفوس أسلوب نبوي، نجده في كثير من الأحاديث النبوية؛ كقوله – صلى الله عليه وسلم – "أكثروا ذكر الموت، أما والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا"[1]

1– علي بن خلف ابن بطال ، شرح صحيح البخارى، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم ، مكتبة الرشد، السعودية، ط2، 2003م، ج10، ص195.

ثانيا؛ سيمياء الدنيا:

الدنيا هي الحياة الحاضرة التي يحياها الإنسان، وهي تبتدئ من يوم مولده، وتنتهي بيوم وفاته. وقيل سميت الدنيا كذلك لدنوها بمعنى (لقربها) من الآخرة، وقيل لدناءتها إذا ما قارناها بالآخرة. وقد ذم الدنيا أكثر الصالحين؛ "قال بعض الحكماء: الدنيا كالماء المالح كلما ازداد صاحبه شرباً ازداد عطشاً. وكالكأس من العسل في أسفله السم فللذائق منه حلاوةٌ عاجلةٌ وفي أسفله الموت الذعاف. وكأحلام النائم التي تفرحه في منامه فإذا استيقظ انقطع الفرح"[1].

والدنيا لا تأتي في زهديات بكر بن حماد إلا غرارة، ومخادعة، ومذمومة، ووسيلة للطريق إلى الحياة الآخرة. قال " النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لأبي ذَر يَا أَبَا ذَر إِن الدُّنْيَا سجن الْمُؤمن"[2]. قال بكر بن عماد في قصيدة عنوانها؛ الخير في الدنيا قليل[3]:

لقد جفت الأقلام بالخلق كلهم
فمنهم شقي خائب وسعيد
تمر الليالي بالنفوس سريعة
ويبدئ ربي خلقه ويعيد
أرى الخير في الدنيا يقل بكثرة
ينقص نقصا والحديث يزيد
فلو كان خيرا قل كالخير كله
وأحسب أن الخير منه بعيد

1- شيخو رزق الله بن يوسف، مجاني الأدب في حدائق العرب، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، دط، 1913م، ج4، ص94.

2- عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، تحقيق عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، لبنان، ط1، 1996م، ص21.

3- محمد بن رمضان شاوش، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد التاهرتي، المطبعة العلوية، مستغانم، الجزائر، ط 1، 1966، ص75.

حكم الشاعر على الدنيا بسرعة الانقضاء، وقلة الخير، وعلى اختلاف الناس في النجاة منها، فمنهم ناج منها، ومنهم خائب، ومنهم شقي.. والحقيقة إن الشاعر لم ينظر إلا للوجه الحالك المظلم من الدنيا، ليوظفه كعلامة سيميائية للتزهيد في الدنيا، والتحذير منها. ولا أحسبه يغفل عن جوانبها الإيجابية.

قال بعضهم إن "الدّنيا دار زوال وملال، ليس في كيانها أن تثبت هي ولا شيء مما فيها على حال واحدة، وإنّما الثّبوت الدائم لدار القرار "[1]. وهكذا تؤدي الحياة وظيفة ترهيبية، لتحل مكانها محبة الحياة الآخرة، ولا شك أن في ذلك مصلحة للإنسان، فالحياة الدنيا مصيرها الزوال، وأكثر أوقاتها نصب ونكد وأمراض وشدائد وأهوال. على عكس الحياة الآخرة، فهي للمؤمنين خلود ونعيم دائمان.

1- عمرو بن الجاحظ، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط2، 1423ه، ص96.

ثالثا؛ سيمياء القبر:

قال بكر بن حماد في قصيدة عنوانها؛ وقفة بالقبور[1]:

قف بالقبور فناد الهامدين بها
من أعظم بليت فيها وأجساد
قوم تقطعت الأسباب بينهم
من الوصال وصاروا تحت أطواد
راحوا جميعا على الأقدام وابتكروا
فلن يروحوا ولن يغدو لهم غاد
والله لو ردوا ولو نطقوا
لقالوا التقى من أفضل الزاد

القبر: حفرة في الأرض بعمق متر أو ما يزيد، ثم يحفر في باطنها حفرة صغيرة بقدر ما يسع جسد الميت تُسمَّى اللحد، يوضع فيها الميت وتُغطى بالطوب اللبن ثم يُهال التراب بعد ذلك على الحفرة. والقبر أول منازل الآخرة إذ يأتي الميت ملكان يسألانه، فيصبح قبره روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار حسب عمله[2].

والقبر علامة سيميائية بارزة في غرض الزهد، ودائمة الحضور، وهو منزل الإنسان بعد موته، ومكان الحساب، وأول منازل الآخرة. إنه رمز الوحشة، والغربة، وبيت الدود، والطريق إلى الخلود في النار أو الجنة. وقد كان القبر معظما ولا زال عند جميع الأمم، من بداية الخليقة.

1- بكر بن حماد، الدر الوقاد، ص80.

2- ينظر: قرص الموسوعة الشعرية، إشراف محمد أحمد السويدي، الإصدار الثالث، 1997 – 2003، الموقع الإلكتروني www.cultural.org.ae.

ولن تكون للقبر قيمة، ولن يسمى كذلك إلا إذا قبر فيه إنسان، فحينئذ يؤدي وظيفة حقيقية في الموعظة والتذكير. لما يصوره لحقيقة مصير الإنسان؛ ونهايته الحتمية. قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه»[1]. إن القبر بوصفه هذا يصبح يؤدي وظيفة دينية، حيث يدفع المتأمل فيه إلى الزهد في الدنيا، والالتزام بشريعة الإسلام العقة.

إن القبر يبعث في النفوس الخوف، والهلع، ويذكر الإنسان بما ينتظره من مصير. إنه فضاء مغلق، ومظلم، وسفلي، وفردي، والإنسان بطبعه يكره جميع تلك الأنواع من الأماكن.. فأنت ترى بعد هذا كله أن القبر علامة جد مناسبة في مقام الحث على الزهد.

1– محمد بن يزيد بن ماجة ، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر، ج2، ص1426.

رابعا؛ سيمياء الغفلة:

الغفلة لغة: مصدر غَفَل يغفل غفولاً وغفلةً: تركه وسهى عنه، وأغفلتَ الشيء: تركته غَفَلاً وأنت له ذاكراً، والتغافل والتغفّل: تعمُّد الغفلة، والغُفلُ: من لا يرجى خيره ولا يخشى شره، وما لا علامة فيه[1]، وفي الحديث: «من اتبع الصيد غفل»[2]، أي: يشتغل به قلبه ويستولي. وقيل: الغفلة: سهو يعتري الإنسان من قلة التحفظ والتيقظ.

والغفلة اصطلاحاً: "متابعة النفس على ما تشتهيه. وقيل: إبطال الوقت بالبطالة. وقيل الغفلة عن الشيء: "هي أن لا يخطر ذلك بباله"[3]. وقيل: غيبة الشيء عن بال الإنسان وعدم تذكره له، وقد استعمل فيمن تركه إهمالاً وإعراضاً كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ﴾[4].

ويخصص بكر بن حماد قصيدة كاملة في ذكر الغفلة عن الموت فيقول[5]:

لقد جمحت نفسي فصدت وأعرضت
وقد مرقت نفسي فطال مروقها
فيا أسفي من جنح ليل يقودها
وضوء نهار لا يزال يقودها
إلى مشهد لا بد لي من شهوده
ومن جرع للموت سوف أذوقها
ستأكلها الديدان في باطن الثر ى
ويذهب عنها طيبها وخلوقها

1- محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414ه، ج11، ص497.

2- أحمد بن حنبل، المسند، ج2، صص371- 440،

3- علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م، ص162.

4- سورة الأنبياء، الآية1.

5- بكر بن حماد، الدر الوقاد، ص78-79.

مواطن للقصاص فيها مظالم

ودي إلى أهل الحقوق حقوقها

سحاب المنايا كل يوم مظلة

فقد هطلت حولي ولاح بروقها

وللنفس حاجات تروح وتغتدي

ولكن أحاديث الزمان يعوقها

تجهمت خمسا بعد سبعين حجة

ودام غروب الشمس لي وطلوعها

وأيدي المنايا كل يوم وليلة

إذا فتقت لا يستطاع رتوقها

يصبح أقواما على حين غفلة

ويأتيك في حين البيات طروقها

وعلامات الغفلة واضحة في قول الشاعر: (جمحت، صدت، أعرضت، ومرقت).

وللغفلة علاقة بالموت، حيث أنها غفلة عن الموت، ويعتقد الشاعر أن أسباب الغفلة إنما هي النفس، التواقة إلى حب البقاء، والملذات.. غيرَ أنّ العلماء يذكرون أسبابا أخرى للغفلة؛ منها: الجهل، والمعاصي، صحبة الغافلين، ترك صلاة الجماعة، طول الأمل، كثرة الضحك، وكثرة الكلام في غير ذكر الله[1].

والغفلة عن الموت والآخرة تؤدي إلى عدم العمل، وعدم الاستعداد، ولذلك نراها علامة سيميائية بارزة في غرض الزهد عامة.

1- سعيد بن علي بن وهف القحطاني الغفلة ، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض ، السعودية، دط، ص27-37.

خامسا؛ سيمياء القناعة:

توجد علاقة متينة بين القناعة وبين الزهد والرضى، ولذلك عرف بعض أهل اللغة القناعة بالرضى، والقانع بالراضي [1]. قال ابن فارس: "قَنع قناعةً: إذا رضي وسميت قناعة؛ لأنه يقبل على الشيء الذي له راضيًا" [2]. وأما الزهد فهو: ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والزهادة في الأشياء ضد الرغبة[3]. وذكر ابن فارس أن مادة (زهد) أصل يدل على قلة الشيء، قال: والزهيد: الشيء القليل[4].

وقد عرف شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- الزهد بقوله: "ترك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة، وهو فضول المباح التي لا يستعان بها على طاعة الله- عزَّ وجلَّ- "[5]. ونحا فريق من أهل الاصطلاح إلى تقسيم القناعة، وجعل أعلى الوجه الثالث: أن تنتهي به القناعة إلى الوقوف على ما سنح، فلا يكره ما أتاه وإن كان كثيرًا، ولا يطلب ما تعذر وإن كان يسيرا. وهذه الحال أدنى منازل أهل القناعة؛ لأنها مشتركة بين رغبة ورهبة، فأما الرغبة: فلأنه لا يكره الزيادة على الكفاية إذا سنحت، وأما الرهبة، فلأنه لا يطلب المتعذر عن نقصان المادة إذا تعذرت"[6].

وبناء على تقسيم الماوردي فإن المنزلة الأولى هي أعلى منازل القناعة وهي الزهد أيضا، والمنزلة الثالثة هي التي عليها أكثر الذي عرفوا القناعة.

1- ابن منظور، اللسان، مادة (قنع) ج11، ص321.

2- معجم مقاييس اللغة

أحمد بن فارس القزويني ، تح عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 1979م. مادة (قنع) ج5، ص33) .

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة (زهد) ج6، ص97.

4- ابن فارس، مقاييس اللغة، مادة (زهد) ج3، ص30 .

5- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، مجموع الفتاوى، تح عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، دط، 1995م، ج11، ص27.

6- ينظر: علي بن محمد الماوردي، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دط، 1986م، صص328- 329 .

وقال بكر بن حماد في زهدية أخرى[1]:

تبارك من ساس الأمور بعلمه
وذلّ له أهل السّموات والأرض
ومن قسم الأرزاق بين عباده
وفضّل بعض الناس فيها على بعض
فمن ظنّ أنّ الحرص فيها يزيده
فقولوا له يزداد في الطّول والعرض!

تكشف لنا علامات سيميائية زهدية أخرى؛ وهي الحث على القناعة، والتحذير من الحرص. ومن تحلى بهذا الخلق يصبح من الزاهدين لا محالة؛ لأن القناعة، وترك الحرص من أبرز صفات الزاهدين.

ثم إن للقناعة فوائد كثيرة تعود على المرء بالسعادة والراحة والأمن والطمأنينة في الدنيا، ومن تلك الفوائد: امتلاء القلب بالإيمان بالله- سبحانه تعالى- والثقة به، والرضى بما قدر وقَسَم، وقوة اليقين بما عنده- سبحانه وتعالى- ذلك أن من قنع برزقه فإنما هو مؤمن ومتيقن بأن الله- تعالى- قد ضمن أرزاق العباد وقسمها بينهم حتى ولو كان ذلك القانع لا يملك شيئًا[2].

1- بكر بن حماد، الدر الوقاد، ص77.

2- إبراهيم بن محمد الحقيل ، القناعة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، السعودية، ط 1، 1422هـ، ص7.

خاتمة

1- الخلاصة

2- النتائج

هذا بحث موضوعه الأدب الجزائري القديم، تناول غرض الزهد عند بكر بن حماد التاهرتي ،إذ ثبت أن بكر بن حماد شاعر من شعراء الجزائر القدامى، وهو فحل نافس معاصريه منافسة قوية، كما نظم بكر بن حماد في أغلب الأغراض الشعرية التقليدية من مدح ، هجاء، وصف، رثاء وزهد إذ يمثلان هذان الغرضان أكثر شعره وذلك كونه كان محدثا وزاهدا .

أما النتائج فهي :

– كشف المنهج السيميائي بآلياته المختلفة نتائج تجعل المستوى الصوتي والصرفي والتركيبي والمعجمي ينتظم لتشكيل دلالة كبرى هي الزهد.

– سمياء الزهد غنية بالعلامات :سيمياء القبر ،سيمياء الموت، سيمياء الدنيا، سيمياء القناعة ، وسمياء الغفلة.

فهارس المصادر والمراجع والموضوعات

أولا؛ فهرس المصادر والمراجع

ثانيا؛ فهرس الموضوعات

فهرس المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم**

1)إبراهيم بن محمد الحقيل، القناعة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، السعودية، ط1، 1422هـ.

2)أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، مجموع الفتاوى، تح عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، دط، 1995م.

3)أحمد بن فارس القزويني، تح عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، دط، 1979م.

4)أحمد بن محمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 2001.

5)بكر بن حماد، الدر الوقاد من شعر بكر بن حماد، تق وجم وشر: محمد بن رمضان شاوش، المطبعة العلوية، مستغانم، الجزائر، ط 1، 1966.

6)حازم بن محمد أبو الحسن القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس العاصمة، تونس، ط 3.

7)الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1981م.

8)راجي الأسمر: المعجم المفصل في علم الصرف، مر: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 1993.

9)رشيد عبد الرحمن العبيدي: معجم الصوتيات، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، العراق، ط 1، 2007.

10) زرناجي شهيرة: قصيدة عاشق من فلسطين دراسة سميائية دلالية على مستويات اللغة، رسالة ماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، 2009 ــ 2010.

11) سراج الدين محمد، الزهد والتصوف في الشعر العربي، دار الراتب الجامعية، بيروت، لبنان، دط، دت.

12) سعيد بن علي بن وهف القحطاني الغفلة، مطبعة سفير، الرياض، مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض، السعودية، دط.

13) شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي عصر الدول والإمارات، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، دت.

14) شيخو رزق الله بن يوسف، مجاني الأدب في حدائق العرب، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، لبنان، دط، 1913م.

15) صلاح فضل: مناهج النقد المعاصر، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2002، ص121-122.

16) عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، ط 2، 1980.

17) عبد الحق بن عبد الرحمن بن الخراط، العاقبة في ذكر الموت، تحقيق خضر محمد خضر، مكتبة دار الأقصى، الكويت، ط2، 1986.

18) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، تحقيق عبد المجيد طعمة حلبي، دار المعرفة، لبنان، ط1، 1996م.

19) عبد العزيز عتيق: علم العروض والقافية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

20) عبد الله ن محمد أبو بكر المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تح بشير البكوش، مر محمد العروسي المطوي، ج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ط2، 1984.

21) علي بن خلف بن بطال، شرح صحيح البخارى، تحقيق أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، ط2، 2003م.

22) علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983م.

23) علي بن محمد الماوردي، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، دط، 1986م.

علي بن مؤمن بن عصفور أبو الحسن الأشبيلي: الممتع في التصريف، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 1996.

24) علي بهاء الدين بوخدور: المدخل الصرفي تطبيق وتدريب في الصرف العربي، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 1، 1988.

25) عمار شلواي، السمياء المفهوم والآفاق، محاضرات الملتقى الوطني الأول السمياء والنص الأدبي، قسم الأدب العربي، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 07 و08 نوفمبر 2000.

26) عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج 4، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

27) عمرو بن الجاحظ، الرسائل الأدبية، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط2، 1423ه.

28) فيصل الأحمر، معجم السميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر العاصمة، الجزائر، ط1، 2010.

29) قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

30) قرص الموسوعة الشعرية، إشراف محمد أحمد السويدي، الإصدار الثالث، 1997 – 2003، الموقع الإلكتروني www.cultural.org.ae.

31) مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تق وتص محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر العاصمة، الجزائر، دط، دت.

32) محمد إبراهيم عبادة: معجم مصطلحات النحو والصرف والعروض والقافية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 1، 2011.

33) محمد الأنطاكي: المحيط في أصوات العربية ونحوها وصرفها، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط 4، د ت.

34) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414ه.

35) محمد بن يزيد بن ماجة، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، مصر.

36) محمد حماسة عبد اللطيف: البناء العروضي للقصيدة العربية، دار الشروق، القاهرة، وبيروت، لبنان، ط 1، 1999.

37) محمود بن عمر جار الله الزمخشري، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، (مادة سوم)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1998.

38) مصطفى حركات: أوزان الشعر العربي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، مصر، ط 1، 1998.

39) يوسف بن أبي بكر أبي يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ضب ط وتع: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 1989.

40) يوسف عطا الطريفي: الوافي في قواعد الصرف العربي، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2010.

41) يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي: جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط 3، 2010.

فهرس الموضوعات

مقدمة	.....	08-07
الفصل التمهيدي (مقاربة لمفردات العنوان)	.....	20-10
أولا: غرض الزهد	.....	10
ثانيا: بكر بن حماد	.....	11
ثالثا: شعر بكر بن حماد	.....	12
رابعا: المنهج السيميائي	.....	17
الفصل التطبيقي الأول (المستويات السيميائية)	.....	35-22
أولا: سيمياء الصوت ودلالته	.....	22
ثانيا: سيمياء الصرف ودلالته	.....	28
ثالثا: سيمياء التركيب ودلالته	.....	32
رابعا: سيمياء المعجم ودلالته	.....	33
الفصل التطبيقي الثاني (سيمياء المعجم الزهدي)	.....	48-37
أولا: سيمياء الموت	.....	39
ثانيا: سيمياء الدنيا	.....	41
ثالثا: سيمياء القبر	.....	43
رابعا: سيمياء الغفلة	.....	45
رابعا: سيمياء القناعة	.....	47
الخاتمة (الخلاصة والنتائج)	.....	50
- فهرس المصادر والمراجع	.....	52
- فهرس الموضوعات	.....	56
الملخص باللغتين العربية والفرنسية	.....	58

ملخص

1- ملخص بالعربية

2- ملخص بالفرنسية

المنخص

موضوع بحثنا موسوم ب: الزهد في شعر بكر بن حماد وقد قاربناه بالمنهج السيميائي وهو يقع في ثلاثة فصول: فصل تمهيدي، وفصلين تطبيقيين، وقد عرفنا فيه بالشاعر وشعره، وركزنا على غرض الزهد، كما عرفنا المنهج السيميائي، وفي الفصلين التطبيقيين درسنا المستويات السيميائية في فصل تطبيقي أول؛ وسيمياء المعجم الزهدي في فصل تطبيقي ثان؛ واهتدينا في الأخير إلى جملة من النتائج تم إثباتها في الخاتمة

Résumé

Le sujet de notre recherche intitulé :l'ascétisme dans la poésie du poète Bakr Bin Hammad, et nous avons le traité avec l'approche sémiotique. Il est composé de trois chapitres :Un chapitre d'introduction et deux chapitres d'application où nous avons présent le poète et son poésie, en concentrant sur la tendance de l'ascétisme ,et nous avons défini l'approche sémiotique. Les deux autres chapitres sont pour application où nous avons étudié les niveaux sémiotiques dans le premier chapitre, et la sémiologie de lexique ascétique dans le deuxième, et nous avons guidé à la fin à une série des résultats que nous avons présentés dans la conclusion.